المحاضرة السابعة : جماعة الرابطة القلمية

- **أهداف المحاضرة :**

_ أن يفهم الطالب المقصود بجماعة الرابطة القلمية وأعضائها .

_ أن يطلع على روافدها المهجرية،وكيفية مسايرتهم للأحداث النقدية في العالم الغربي.

_ أن يعرف أهمية هذه الجماعة في التأسيس للتجديد النقدي العربي.

- **القراءات المساعدة :**

_ النقد و النقاد المعاصرون:..... محمد مندور

_ الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه :.. .....الطاهر أحمد مكي

- **أسئلة الفهم :**

_ ما المقصود بأدب المهجر ؟ و ماهي أهم أعضائها؟

_ ما طبيعة جماعة الرابطة القلمية؟ و متى تمّ نشأتها؟

_ ما هي أهم المبادئ والخصائص التي تميزهم؟

_ هل كان إنتاجهم حقا لخدمة اللغة العربي؟.

- **تمهيد :**

بعدما اطلاعنا على ما يحدث في العالم العربي في مجال الادب والنقد خاصة مصر ، كان هناك في المقابل شباب من الأدباء العرب سوريا ولبنان هاجروا لأسباب عديدة ؛ فحطوا رحالهم في العالم باتجاه العالم الجديد، أمريكا الشمالية وبالضبط في (نيويورك) فكونوا الرابطة القلمية ، في حين نزلت المجموعة الأخرى في أمريكا الجنوبية، على الأخص في (البرازيل) فكونوا موطنا للعصبة الأندلسية ، فقرروا بدورهم البحث عن مكان لهم وسط هذه التيارات الادبية والعمل على إثبات الهوية .

1_ أدب المهجر: المفهوم و المصطلح

بدأت قصة أدباء المهجر أو ما يعرف بالمغتربين ، "منذ أواخر القرن التاسع عشر شرع الشباب من سوريا و لبنان ينزحون إلى القارة الأمريكية هربا من جور الأتراك ، وانتجاعا للرزق وحبا للمغامرة، ... وكان من بينهم قلوب متوثبة للحرية، و في قلوبهم آفاق رحاب من الفكر النير والخيال الخصيب، أولئك كانوا من الرعيل المثقف الواعي "[1] ، وتشير المعاجم الأدبية حول مصطلح أدب المهجر هو أن " الأصل في الأدب أن يبتدعه أهله، وهم في بلدهم ووطنهم، غير أن العصر الحديث عرف جماعات قدر لها أن تعيش خارج وطنها، و تبدع فوق أرض غير أرضها، فقد جمعت بعض العرب الغربة في غير أرضهم فشكلوا ما يعرف بالجاليات، أطلق عليهم اسم المغتربين، أو المهاجرين، وصدر عنهم أدب يدعى بأدب المهجر، أو الأدب المهجري ، وهي ظاهرة جديدة في الأدب العربي المعاصر، وهو حصيلة إبداع .أناس نزحوا عن وطنهم مكرهين"[2] ، إلا أن هذه المجموعة لم تكن على فئة واحد بحكم اختلاف مكان الغربة إذ "ينقسم هؤلاء الأدباء المهجريون إلى فئتين، فئة المهجر الشمالي، أي الذين قطنوا الولايات المتحدة، وفئة المهجر الجنوبي، وعلى الأخص البرازيل، و لكل منهما خصائص ومميزات، منها الأصيل ومنها المكتسب، وقد برز أدباء المهجر بشكل ظاهر منذ الحرب الكونية الأولى، والحق أن فئة المهجر الشمالي كانت أبعد أثرا من فئة الجنوب على الرغم من أن الجنوبيين كانوا أقوى، وأن صلة الشماليين بالحياة الإنسانية وبالإنسان كانت أكثر، و كانوا في أدبهم متحررين من كل تأثير قديم في الفهم وفي الإنتاج، أما الجنوبيين، فأغلبهم ساروا على سنن المحافظين في الشرق، و مالوا إلى المحافظة على الديباجة العربية البليغة، وعلى الجزالة اللفظية، وقواعد اللغة

---

[1] _ محمد التونجي : المعجم المفصل في الأدب(م س) ، ص 71

[2] _ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

والعروض و البلاغة، أما النثر في الجنوب فكان حظه ضئيلا، إلا في الصحف الأدبية "[1]، نشأت هذه الفئتان في فترة جد عصيبة ؛ إذ كان فيها الصراع قد وصل أوجه بين الشرق والغرب مع وجود الحربين العالميتين الأولى والثانية وهما قوتان عالميتان استخدمت فيها قانون الغاب ، كل منهما ينشد البقاء والقوة ، في مقابل ضعف العالم العربي ، كان وجودهم على هامش الحياة ؛ فكانت تلك الأحداث كلها ملهمة لما يحتفي به العالم من جديد في الأفكار والمواضيع ؛ فعد أعضاء جماعة ادب المهجر أساتذة بالنسبة للعالم العربي .

2 _ أهم رواد الأدب المهجري :

أهم رواد الأدب المهجري من الذين أسسوها ونفخوا فيها الحياة وهم على التوالي :"أنشأها جبران ،و نفخ فيها نعيمة من روحه ورواها بقية الشعراء والكتاب بعطر أنفاسهم"[2] ،ولقد حددهم محمد التنوجي في كتابه (المعجم الفصل في الأدب) قوله:" و قد لمعت في المهجر الشمالي أسماء جبران، ونعيمة، و أبي ماضي، ونسيب عريضة، و رشيد أيوب، وعبد المسيح حداد، وندرة حداد،

والريحاني، ومسعود سماحة، و نعمة الحاج، وأغلبهم من أعضاء الرابطة القلمية، وضرب الشماليون في أكثر الفنون الأدبية، وشقوا طرقا وفنون جديدة، وكان نثرهم شعرا رائعا ساحرا، و كتبوا في القصة، فكانت أقاصيصهم و رواياتهم من أجود ما عرفه الأدب العربي في فن القصة، ونهج أغلبهم في آدابهم النهج الفلسفي، فقد تميز أدب جبران ونعيمة وأبي ماضي والريحاني ونسيب عريضة بالنزعة الفلسفية "[3] هؤلاء الرواد تميزوا عن غيرهم بطرح قضايا ومبادئ وأسس جديدة .

3_ جماعة الرابطة القلمية:

يذكر صاحب المعجم المفصل عن أدب الرابطة القلمية ما يلي: "ولدت فكرة (الرابطة القلمية) في(20 نيسان 1920) في المهجر الشمالي للولايات المتحدة الأمريكية (برئاسة جبران خليل جبران، و يعاونه ميخائيل نعيمة في إدارتها ومستشارا و (وليم كاتسفليس) خازنا، ومعهم سبعة أعضاء يحملون اسم العمال هم إيليا أبو ماضي، نسيب عريضة، عبد المسيح حداد، وديع باحوط، إلياس عطا الله، و لم يكن هؤلاء خيرة أدباء المهجر الشمالي، ولكنهم كانوا

---

[1] _ المرجع السابق ، ص ص71_72

[2] _نادرة سراج : شعراء الرابطة القلمية ،دار المعارف ، مصر ، 1964 ، ص10

[3] _محمد التونجي :المعجم المفصل في الأدب ،(م س) ، ص72

متقاربين في الميول الأدبية والذوق الفني، و فتح عبد المسيح حداد لهم جريدته (السائح) لينثروا فيها أزهارهم، وكانت السائح، تصدر عددا ممتازا في صدر كل عام، عاشت الرابطة إحدى عشر سنة، ثم تبعثر أعضاؤها عام 1931، فقد هجم الموت على جبران، ثم رشيد أيوب ثم إلياس عطا الله ونسيب عريضة، ثم ندرة حداد، .فالآخرين، وعاد نعيمة إلى قريته بلبنان، وتوقفت السائح "[1] ، تميزوا بمنحناهم الفلسفي إلى جانب توجههم الرومانسي الوجداني ، وذلك لكثرة قراءاتهم و مواكبتهم للجديد .

4_ مواطن التجديد عند الرابطة القلمية:

حين نتأمل قول ميخائيل نعيمة و في كتابه(الغربال) إذ يقول" إذن فالأدب الذي هو أدب، ليس إلا رسولا بين نفس الكاتب و نفس سواه و الأديب .الذي يستحق أن يدعى أديبا هو من يزود رسوله من قلبه و لبه"[2] ؛ فإن الأمر هنا يتعلق بقضية التأمل في ما وراء الإنسان والوجود و إلى أي مدى كانت " ...الأعمال الأدبية التي توضح إلى حد بعيد مدى إغراق المهجريين في التأمل في كل مجالات الوجود و ما وراءه و النفس الإنسانية والطبيعة و ما وراءها، و قيم الحياة من خير و شر وحب و بغض، و كان للشماليين في هذه النزعة الباع الطويل، و في مقدمتهم ميخائيل نعيمة بشعره و نثره و منهجه النقدي الذي عبد به الطريق أمام الأدباء الآخرين فيكون شكل اللغة من هذا المنطلق في الدرجة الثانية بعد الأدب نفسه، وأبرز من يمثل الرابطة القلمية، ميخائيل نعيمة، و آرائه النقدية حول الأدب، و هو كتاب الغربال "و كتاب الغربال لم يؤلفه الأستاذ ميخائيل نعيمة دفعة واحدة وفقا للمنهج المرسوم، و إنما هو مجموعة من المقالات النقدية التي نشرها المؤلف في الصحف أو كتبها كمقدمات لبعض مؤلفاته مثل مقالاته عن (الرواية التمثيلية العربية) فهي مقدمة لمسرحيته المسماة(الآباء والبنون)..." [3] ، وما يجب معرفته هو تقارب الرابطة القلمية مع الديوان في عدائها للاتجاه التقليدي، " ... إذ ظهر الديوان في سنة 1921 وظهر الغربال 1923 ، والكتابان يرميان إلى هدف واحد هو الهجوم العنيف على مدرسة الأدب التقليدي أي مدرسة البعث، و الدعوة إلى أدب التجديد، ..."[4] ، ويستهل (ميخائيل نعيمة) كتابه النقدي، بالحديث عن المقاييس

---

[1] _ الطاهر أحمد مكي : الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه(م س) ، ص468

[2] _ صابر عبد الدائم : أدب المهجر، (م س)ص18

[3] _محمد مندور : النقد والنقاد المعاصرون، نهضة مصر للطباعة والنشر - مصر 1997،ص 20

[4] _ المرجع نفسه، ص ص: 24 _25

الأدبية ،كان دستورا في دولة الأدب و الشعر ، وهي مقاييس أملتها حاجات الإنسان الأربعة ؛ حاجة الإنسان إلى التعبير عما يعتريه من حالات نفسية ، وتوقه الدائم للحقيقة ، ونزوعه الأزلي للجمال ،وتتبع مواطنه . والموسيقى صورة من صور الجمال التي تدخل عنصرا رابعا في تلك الحاجات " [1]؛ وإذا روعي بهذه المقاييس في عمل أدبي ما ،فخلوده محقق لا ارتياب فيه ،هذه المقاييس ثابتة خالدة ، وهي أيضا الميزان العادل الذي يزن الأثر الأدبي و يقيمه. ويقر (نعيمة) ، أن هذه المقاييس لم تطبق على الشعر العربي ، و لو طبقت لسقط أكثره من حساب الشعر، لعدم استيفائه عناصر الشعر ومكوناته ، "فان كان فيه حقيقة و جمال فلا عاطفة ،وإن كان فيه حقيقة فمبتذلة أو مشوهة"[2]، ومن هنا نرى حجم البون الواسع بين مفاهيم المدرسة التجديدية ومفاهيم المدرسة الكلاسيكية الاحيائية التي تعتمد على العناصر السبعة لعمود الشعر المعروف عند المرزوقي .

5_ الخصائص العامة لمدرسة الرابطة القلمية:

يمكن حصر الخصائص العامة لمدرسة الديوان في ما أورده (ميخائيل نعيمة) عن منهجه النقدي التأثري الذاتي ؛ إذ يقول : "إن لكل ناقد غربال، و لكل موازينه و مقاييسه، وهذه الموازين و المقاييس ليست مسجلة لا في السماء ولا في الأرض، ولا قوة تدعمها وتظهرها قيمة صادقة سوى قوة الناقد نفسه، و قوة الناقد هي ما يبطن به سطوره من الإخلاص في النية والمحبة لمهنته والغيرة على موضوعه ودقة الذوق ورقة الشعور وتيقظ الفكر، وما أوتيه بعد ذلك من مقدرة البيان لإيصال ما يقوله إلى عقل القارئ و قلبه " [3]، ومجمل الخصائص الفنية لجماعة الرابطة القلمية في ما يأتي:

[1] _ ينظر: ميخائيل نعيمة : الاعمال الكاملة مجلد 3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1979 ، ص ،23

[2] _المرجع نفسه ، ص 383 ، وما بعدها

[3] _ محمد مندور: النقد و النقاد المعاصرون، (م س)، ص ص: 29 _30

الخصائص الفنية	الخصائص الموضوعية
تميز ألفاظهم وكلماتهم بالسلاسة، والرقة، والبساطة، و جمال وبراعة التصوير. _ الوحدة الموضوعيّة في القصيدة وارتباطه بالعنوان. _ الصور الفنيّة المشخصة للمعنى المقصود ؛وعواطف الشاعر. القصيدة لوحات فنيّة تنبض بالحياة والحركة. تنوع القافية والتمرد على الأوزان العروضيّة المعروفة. _الاعتماد على القصة كوسيلة للتعبير.	_الحنين والشوق إلى الوطن والتغنى بجماله ، والدفاع عن قضاياه المتلعقة بالاستقلال والتحرر.. _ التحاور مع الطبيعة والامتزاج بها. _ تأمل النفس الإنسانيّة. _تحليل الشخصيّة الإنسانيّة وكشف عما فيها من أسرار. _ العمل على تحقيق المُثل العليا _ نشر المبادئ الإنسانيّة بين الناس. _الابتعاد عن أسلوب الخطاب المباشر.

- **نصوص و تطبيقات:**

_ يقول ميخائيل نعيمة [1] في موضوع النقد:

"... أن يتميز بقوة التمييز الفطرية، تلك القوة التي توجد لنفسها قواعد ولا توجدها القواعد، والتي تبتدع لنفسها مقاييس و موازين و لا تبتدعها المقاييس والأوزان، فالناقد الذي ينقد حسب القواعد التي وضعها سواه لا ينفع .نفسه ولا منقوده و لا الأدب بشيء" .

✓ **ما هي حقيقة المقاييس النقدية التي يتحدث عنها ميخائيل نعيمة؟.**

[1] _ المرجع السابق ، ص 27

_المحاضرة الثامنة:
النقد التاريخي Historical criticism

- **الهدف من المحاضرة:**

_ أن يفهم الطالب معنى المنهج لغة و اصطلاحا

_ أن يتعرف على النقد التاريخي (النشأة ،التطور، الأسس).

_ أن يتعرف على طريقة تلقيه من العرب.

- **القراءات المساعدة:**

_ المعجم المفصل في الأدب :..... محمد التونجي

_ منهج البحث الأدبي:..... الطاهر جواد

_ في آليات النقد الأدبي: .....عبد السلام المسدي

_ مناهج النقد الأدبي:..... يوسف وغليسي

- **أسئلة الفهم:**

_ ما المقصود بالمنهج ما علاقته بالنقد التاريخي ؟

_ ماهي ظروف نشأته ؟

_ ماهي أسباب تطوره عند الغرب ؟

_ ما هي أهم المبادئ التي يقوم عليها؟ كيف تلقاه النقاد العرب ؟

- **تمهيد:**

كل هذه الأسئلة تجيب عن مرحلة أولية بدائية انتقالية للنقد الذي صار الأدب من خلاله عينة يمكن إدخالها حقل العلوم التجريبية و تطبيق خطوات البحث العلمي عليها ،فالعصر الحديث يعد فتحا جديدا ، على إثره تم الطعن في كثير من المعتقدات التي كانت سائدة، و أهمها تلك المتعلقة بخرافة التفكير وسذاجته و تمركزه حول الميتافيزيقا ،فعمل المفكرين على بعث و احياء أفكار فلاسفة اليونان من أجل سبل أكثر قابلية للتصديق لاعتمادها على عالم الحس ، والواقع .

1_ بوابة العصر الجديد:

بالنسبة لإحياء عالم الحس /الواقع كان أكثر ارتباطا وتعلقا بأرسطو، لأن سبل البحث عند أفلاطون تركز على العالم المثالي، و رغم ذلك تنسب سبل التفكير لكليهما لاهتمامهما بالعقل المنظم، و هو أحد أهم المحاور التي تحدث عنها أستاذهم سقراط. فكان العلم التجريبي هو أكبر ما حققته هذه المدونات من فضل على البشرية كلها منهم، (فرانسيس بيكون Francis Bacon) و (غاليلو Galileo) و(جون لوك John locke) و(دفيد هيوم David Hume) ، هؤلاء كانوا بوابة العصر الجديد بما دحضوه من أفكار(أسطورية / دينية) من جهة، ومن جهة أخرى بما أحدثوه من جديد، إذ صار لكل ما في العالم تفسير وتعليل وتقديري زماني ومكاني.

فجاءت بحوث العصر الحديث لتثبت سيادة الإنسان ومركزية عقله(logos) وهو تطور لفكرة العقل المنظم ، التي عملت على إحداث التغيير، تغيير طال فكرة الذوق و تذوق الأعمال الأدبية الذي كان أساس الحكم على جودة أو رداءة العمل الأدبي وهو ما أرشد العالم إلى طريق المنهج سبيلا في الدراسة.

مما أدى إلى التخلص من التقييم العفوي للأدب إلى حقل العلوم التجريبية.

2_ المنهج: لغة و اصطلاحا

جاء في معجم لسان العرب في مادة [ن ،ه ،ج] : (المنهاج : الطريق الواضح . واستنهج الطريق : صار نهجا . و في حديث العباس : لم يمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى تركككم على طريق ناهجة أي واضحة بينة .. و فلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك نهجه

. و النهج الطريق المستقي [1]، وجاء في المعجم المفصل في الأدب قوله في حدود المنهج في ما يلي:" المنهج :لغة، الطريق، و في علم التربية، السبيل التي يسلكها المربي لبلوغ الأهداف التربوية عن طريق التدريس و ضروب النشاط عامة، بما يلائم البيئة و الثقافة..... [2] ، وخلاصة ذلك أن المنهج في اللغة العربية هو الخطة أو الطريق.

ب_ المنهج اصطلاحا :

تعددت تعريفات المنهج في أدبيات البحث العلمي واختلفت وجهات نظر الباحثين نحوها، ومن هذه التعاريف نختار منهج البحث الأدبي الذي يعرف ب ": الطريقة التي يسير عليها دارس ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب منذ العزم على الدراسة و تحديد الموضوع حتى تقديمه للمشرفين أو النقاد أو القراء [3] ،كما يعرف ايضا بأنه : " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين وتعليمهم إيّاها حين نكون بها عارفين"[4] في حين حدده أصحاب منطق (بور رويال) المنهج تحديداً دقيقا , وجعلوه القسم الرابع من علم المنطق .عرفوه بأنه : "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، من اجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها ، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين لما نكون عارفين بها. أصبح منهج الوسيلة المؤدية إلى الهدف المطلوب، والتي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة كشفاً عن الحقيقة بوساطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة [5]، فالأصل في المنهج اعتماده على القواعد و القوانين المنظمة والمتناسقة التي يعتمدها الباحث من أجل تحقيق شروط العلمية في الوصول إلى النتيجة، و له السبيل الآني و الآخر التطوري الذي يعمل على تقصي ، الظاهرة

---

[1] _ابن منظور : لسان العرب : بيروت , دار احياء التراث العربي . مؤسسة التاريخ العربي . ط (3) 1999 . باب النون : مادة نهج : الجزء : 14 . ص : 300.

[2] _ محمد التونجي :المعجم المفصل في الأدب،(م س)، ص831

[3] _ الطاهر جواد : منهج البحث الأدبي. بغداد . مطبعة العاني . ط1، (1970) ص ص : 21 . 22

[4] _ ينظر بحث : سعيد بن علي بن ثابت : مناهج البحث في أقسام الإعلام بالمملكة العربية السعودية

[5] _ بدوي محمد : المنهجية في البحوث و الدراسات الأدبية . تونس . مدينة سوسة . دار الطباعة للمعارف والنشر . ص : 6.

زمنيا ، و يذكر صاحب معجم الفلسفة حول المنهج ما يلي "منهج (method(e) بوجه عام، وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة، و المنهج العلمي(méthode scientifique) له خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها، الذي يقصد به:".... الخطة العلمية التي يصفها الباحث، أو تضعها المؤسسة، لدارس موضوع أو قضية، و يتطلب نقاط منظمة و منسقة، تكون و يقصد به دراسة مختلف الظواهر النسق الذي ينتهج، و ينقسم إلى قسمين :المنهج التزامني (synchronique) ويطلق عليه الوصفي (descriptif)، والمنهج التطوري(diachronique) ويقصد به دراسة مختلف الظواهر في مدة زمنية محددة ويقصد به البحث في الظواهر بحسب التطور الزمني المتعاقب، و لذا يقرن به مصطلح آخر هو التاريخي " [1] فما هو المنهج التاريخي؟

3_ المنهج التاريخي:

القول بالمنهج التاريخي هو بدايات للتفسير العلمي للأعمال الأدبية ودراستها دراسة تعيد استثمار وسائل الاستقراء والاستدلال.كماهي عند (أفلاطون Platon) و(أرسطو Aristote)، فالنقد التاريخي بهذا الوصف منهج حديث بعد استثمار آخر ما وصلت إليه الفلسفة التجريبية "...لأننا نعلم أن النقد ظل قرونا طويلة حكميا (تقويميا، تقديريا) وظل قرونا طويلة– كذلك -قائما على قواعد (أرسطو) في معياريته وهو لا ينظر– على أي حال - في النص نفسه و في العوامل المؤثرة في النص و في صلة النص بظروفه و زمانه، و إذا ورد شيء عن عصر أو أديب فإنه يرد عرضا متقطعا و يعود الاهتمام بتاريخية الأدب هذه إلى القرن الثامن عشر _ عصر التنوير _ وما صحبه من فكر و فلسفة و ربط الظواهر بمسبباتها بعيدا عن التجرد أو العزل، و قد جرى .ذلك في كل مكان في أوروبا، وأمر فرنسا مشهور ولألمانيا مكان خاص من التاريخية "[2]، فقد عرفت تطورا بتطور البحوث العلمية فيما بعد ؛ إذ يتكأ النقد التاريخي " على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية : فالنص ثمرة صاحبه ، والأديب صورة لثقافته ، والثقافة افراز للبيئة , والبيئة جزء من التاريخ فإذا النقد تأريخ

[1] _ محمد التونجي:المعجم المفصل في الأدب ، (م س) ، ص831

[2] _ علي جواد الطاهر:مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر -بيروت -ط1971 ، ص398

للأديب من خلال بيئته"[1] وهذا يعني أن هذا المنهج يهتم بالعلاقات الخارجية للأعمال الأدبية، ومحيطه وبيئته الخارجية، وهي عناصر من خلالها يتم تفسير هذه الأعمال مجتمعة .وهو بذلك يصنف ضمن المناهج السياقية التي تدعو إلى الخروج عن السبل الذوقية القاصرة و العاجزة و البعيدة عن النص الأدبي في ذاته، إلى دراسة كلية تتولى مهمة تتبع الظاهرة عن طريق الاستقراء و الاستدلال الذي تكون وسيلته العلمية، وعلى الناقد أن يحدد علاقته بالتاريخ فهو وسيلة و ليس غاية به يتم من تفسير النص الأدبي بما يشير إليه من عواطف و مشاعر وخيال ليتشكل العمل الأدبي بوصفه نصا مختلفا عن نص الواقع ،".. فصميم عمله النص الأدبي بما فيه من حياة العواطف والأخيلة، و هو يستعين بتاريخ العصر ونظمه السائدة على استجلاء النص الأدبي... "[2].وكان الفضل في هذا التطور يعود إلى كثير من رواده.

4- رواد النقد التاريخي الغربي:

لعل من أشهر النقاد الذين ظهر لديهم التوجه العلمي التجريبي في منهج دراستهم للأدب هو (أرنست دانيال :1823_ 1892) وكذلك (سانت بيف: 1804_1869) و(تين :1828_1893) و (برونتيير: 1849–1906) ،ولقد مضى هؤلاء النقاد ينكرون التذوق الأدبي والشخصي و كل ما يتصل بالذوق وأحكامه في مجال دراسة الأدب، وأخذوا يضعون قوانين ثابتة للأدب ثبات قوانين العلوم الطبيعية، قوانين تطبق على كل الأدباء كما تطبق قوانين الطبيعة على كل العناصر "[3]، ف(سانت بيف) إلى جانب محيط العمل الإبداعي يغوص في روح المؤلف من أجل استجلاء الدلالات، سبيله في ذلك المنهج العلمي، عن طريق دراسة الأدب دراسة تفصيلية في علاقته ببيئته وثقافتهم وأمزجتهم وترباتهم. أماهي (هيبوليت تين H .TAIN) (1828_1893)، فيلسوف و مؤرخ فرنسي، فقد جاء بثلاثيته الشهيرة(الجنس البيئة و الزمن)،وهذه تفاصيلها:

---

[1] _عبد السلام المسدي : في آليات النقد الأدبي ،دار الجنوب تونس،1994،ص88

[2] _ علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي، ص 398

[3] _ ينظر: محسن الكندي :(كاتب من سلطنة عمان)، قراءة تحليلية لمرجعيات منهج النقد التاريخي، مجلة نزوى العدد 86 ، ص ص1-2

أ_ العرق أو الجنس(RACE) بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معين.

ب_ البيئة أو المكان أو الوسط (MILIEU)؛ بمعنى الفضاء الجغرافي و انعكاساته الاجتماعية في النص الأدبي.

ج _الزمان أو العصر(TEMPS)؛ أي مجموعة الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرا على النص.[1]، عرف هذا لمنهج تطور كبيرا بعد ذلك .

فقد ساهم فيه ثلة من النقاد، والأمر متعلق "بداية الأمر ب(ش ،أ،سانت بيف charle augustin saint beuve) (1804_ 1869) الناقد الفرنسي أستاذ(هـ ، تين) الذي ركز على شخصية الأديب تركيزا مطلقا إيمانا منه بأنه " (كما تكون الشجرة يكون ثمرها) و(أن النص تعبير عن مزاج فردي) لذلك كان ولوعا بالتقصي لحياة الكاتب الشخصية والعائلية ومعرفة أصدقائه و أعدائه وحالاته المادية والعقلية والأخلاقية وعاداته وأذواقه وأرائه الشخصية، وكل ما يصب فيما كان يسميه (وعاء الكاتب)... [2] ، كما كان له حضور في كتابة السيرة النقدية، " واشتهرت و في منتصف القرن الماضي بدأ سانت بيف بنشر أحاديث أوروبا بالسيرة النقدية(biographie) " [3] ؛ فهذا المنهج يؤمن بأنه لا حديث عن شيء دون الاطلاع على ظروفه وأسبابه ف "التاريخ يصنع من وثائق، والوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف و أفعالهم، والقليل جدا من هذه الأفعال والأفكار هو الذي يترك آثارا محسوسة، إن وجدت فنادرا ما تبقى، لأن عارضا بسيط قد يكفي لزوالها، و كل فكرة أو فعل لا يخلف أثرا، مباشرا أو غير مباشر، أو طمست معالمه هو أمر ضاع على التاريخ، كأن لم يكن البتة، و بفقدان الوثائق صار تاريخ عصور متطاولة من ماضي الإنسانية مجهولا أبدا، إذ لا بديل عن الوثائق، حيث لا وثائق فلا تاريخ "[4]، بالإضافة الى وجود أحد أعمدة هذا المنهج وهو (فرديناند برونتير FREDINAND BRUNETIERE) (1849_1906) وهو أكثر النقاد الذين تأثروا بالفلسفة الوضعية لقد تعصب للعلم تعصبا شديدا ، واعجب بنظرية داروين ، وعمل على تطبيقها

[1] _ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي ، جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر،ط1،2007، ص16

[2] _ المرجع نفسه ، ص17

[3] _ حسين الحاج حسن:النقد الأدبي في آثار أعلامه، ص65

[4] _ لانجلو اوسينوبوس و بول ماس و امانويل كانت :النقد التاريخي، ترجمة :عبد الرحمن بدوي، وكالة مطبوعات الكويت -ط4، 1981 ،ص5

في الدراسات الأدبية ...محاولة نقلها حيز التنفيذ في المجال الأدبي..."[1]، لنعرج أيضا على أحد أعلام المنهج التاريخي وهو" (غستاف لانسون GUSTAVE LONSON) (1857_1934) ويعد هذا الأكاديمي الفرنسي الكبير الرائد الأكبر للمنهج التاريخي الذي أصبح يعرف كذلك بالانتساب إليه(اللانسونية LONSONNISME)، وقد أعلن (لانسون) عن هويته المنهجية سنة 1909، في محاضرة بجامعة بروكسل حول (الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب)، ثم اتبعها سنة 1910، بمقالته الشهيرة (منهج تاريخ الأدب) التي نشرها في مجلة الشهر(REVUE DU MOI) وقد حدد فيها خطوات المنهج التاريخي ، حتى غدت تلك المقالة (قانون اللانسونية ودستورها المتبع) على حد تعبير احد الدارسين"[2] ، ووفق هذا المنهج توصل(لانسون) إلى صياغة ستة قوانين تحكم الدراسة النقدية:

_ قانون تلاحم الأدب بالحياة ؛ وقانون التأثيرات الأجنبية؛ قانون تشكل الأنواع الأدبية ، وقانون تلاحم الأشكال؛ وقانون الأعمال الخالدة ، وقانون أثر المؤلف في الجمهور. بعد أن وجدت هذه القوانين صداها فآمن بها كثير من النقاد إيمانا مطلقا. و كان الفرنسي(ريمون بيكار Rymond Picard) ، قد أكمل مسيرة هذا المنهج، بعد(لانسون) فتحمل في سبيله الكثير من العناء، "ليدخل هذا النشاط اللانسوني مرحلة الذبول ثم النهاية ".. في معارك نقدية ضاربة مع عميد النقد الفرنسي الجديد (رولان بارث R . BARTHES) (1915_1980) ، انتهت بالإطاحة بهذا المنهج التاريخي."[3] ؛ ليعرف الانهزام أخيرا أمام فارس النقد البنيوي (رولان بارث R . Barthes)؛ الذي قوّض المنهج التاريخي في الدراسات النقدية ، و أحل محله المنهج البنيوي الذي يختلف في طبيعته (الأبستمولوجيا) عن المنهج التاريخي وعن مجمل المناهج السياقية. كانت هذه أهم بدايات و نهايات المنهج التاريخي الغربي ، فكيف تلقاه العالم العربي؟.

---

[1] _على جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ص413

[2] _ عبد المجيد حنون ،اللانسونية و أبرز اعلامها في الأدب العربي الحديث، مخطوط دكتوراه دولة، معهد اللغة والأدب العربي،جامعة الجزائر1991،ص72 ، نقلا عن يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي ، جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط1،2007، ص18

[3] _ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي ،(م س)، ص18

5_ **النقد التاريخي عند العرب :** انتقل هذا المنهج إلى العالم العربي عن طريق الترجمة والتواصل والبعثات ، خاصة عند طه حسين الذي نبغ فيه تأثرا ب : (سانت بيف) و (تين) ، وهذا ما أدى إلى ارتباط النقد التاريخي في العالم العربي ب(طه حسين) في العالم العربي ، إذ يقول في مقدمة كتابه(تجديد ذكرى أبي العلاء المعري) " (ولقد أعلم أن ناسا قرأوا هذا الكتاب فدفعوا أو اندفعوا إلى نقده بعلم أو بغير علم، مخلصين و غير مخلصين، و لقد كنت أود لو وجدت فيما كتبوا شيئا يستحق أن يسطر أو يناقش، و لكني آسف الأسف كله لأني لم أجد فيما كتبوه إلا شتما وسبا، و إلا طرقا في الفهم معوجة، و مناهج في التفكير عتيقة.....[1]، وما أخبرنا به طه حسين عن الأدب الجاهلي، إلا تأكيد على ارتباطه بهذا المنهج وتأثره برواده الغربيين خاصة (تين)إذ يقول : بأنه لن يدرس حياة أبي العلاء وحدها ، وإنما يريد أن يدرس أيضا، حياة النفس الإسلامية في عصره، ذلك أنه يعتقد أن حكيم المعرة و ما له من آثار ما هو إلا محصلة .لعصر كابد أحداثه وأحواله و ارتوى من معارفه وآدابه وعارك طوائفه ورجالاته" [2] ، ويؤكد طه حسين دوما ارتباط الأعمال الأدبية بأسبابها وعللها، للوصول إلى نتائج موضوعية ؛ فكل الأحداث ناقصة ما لم ترتبط بأسبابها و في ذلك تحقيق لأبعاد الموضوعية والعلمية في الدراسة. إذ يقول " إنما الحادثة التاريخية والقصيدة الشعرية، والخطبة يجيدها الخطيب، والرسالة ينمقها الكاتب الأديب، كل أولئك نسيج من العلل الاجتماعية والكونية، يخضع للبحث والتحليل، خضوع المادة لعمل الكيمياء "[3]. هكذا يكون المنهج التاريخي قد دخل إلى العالم العربي من بابه الواسع .

_ خلاصة القول :

نجد أن النقد التاريخي قد استثمر نظريات(أرسطو) في الاستقراء والاستدلال ثم ارتبط في العصر الحديث بالفلسفة العلمية التجريبية ؛ تتعلق الأولى بالمنهج الوصفي والثاني بالمنهج التاريخي. فظهرت بداياته الأولى في مجال النقد لكل من (سانت بيف) و(تين) و(برونتيير Brundtaar)..؛ عملوا على إدخال العلم التجريبي في مجال النقد للوصول إلى تفسير الأدب بسياقه الخارجي. أما في العالم العربي فقد تمثل فيما قدمه طه حسين في دراساته

---

[1] _طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف – القاهرة - ط6 ، 1963 ،ص 4

[2] _محمد شنوفي : تطور النقد المنهجي عند طه حسين ،أطروحة دكتوراه -جامعة الجزائر ،تخصص نقد أدبي حديث، 2005 ،2006 . ص88

[3] _ طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء، (م س) ،ص 19

التاريخية (تجديد ذكرى أبي العلاء المعري) و(في الأدب الجاهلي)، فصار الأدب رؤيا شاملة لحياة و أخلاق و طبائع و أمزجة شعوب بأكملها . إلا أن ما يؤخذ على المنهج التاريخي ،هو نظرته إلى الأعمال الأدبية على انها وثائق ومستندات.

- **نصوص و تطبيقات:**

_ يقول طه حسين [1]

"... أول شيء أفجؤك به في هذا الحديث هو أني شككت في قيمة الشعر الجاهلي وألححت في الشك، أو قل ألح علي الشك، فأخذت أبحث أفكر وأقرأ وأتدبر، حتى انتهى بي هذا كله إلى شيء إلا يكن يقينا فهو قريب من اليقين، ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلفة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين و ميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين، وأكاد لا أشك في أن ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا و لا يدل على أي شيء، و لا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا الشعر الجاهلي، وأنا أقدر النتائج الخطرة لهذه النتيجة و لكني مع ذلك لا أتردد في إثباتها وإذاعتها ،و لا أضعف عن أن أعلن إليك وإلى غيرك من القراء، أن ما تقرؤه على أنه شعر امرئ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم أو عنترة ليس من هؤلاء الناس في شيء، و إنما هو انتحال الرواة أو اختلاق الأعراب أو صنعة النحاة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين و المحدثين والمتكلمين ".

✓ **ناقش الاتجاه و المنهج الذي سلكه طه حسين في قراءة النصوص الجاهلية.**

[1] _ طه حسين :في الشعر الجاهلي، دار الندوة، 1926 ، ص 6